المرأة الشرقيـــــة

وشقاء حياتها الزوجية

بقلم الاستاذ احسان سامى حقى

تمهيد

من جمله أمراضنا الاجتماعية الكثيرة التى تئن تحت أعبائها ، والتى اصبح كل واحد منا يشعر بها ويرى ضرورة تلافيها ، المرأة وماتقاسيه من تعاسة وشقاء وما تتحمله من ذل وهوان فى هذه الحياة ، التى هى حياة لغيرها وموت لها . وإن من ينظر بعين المنصف إلى ما تكتبه الجرائد والمجلات ، ويصغى بأذن واعية إلى الشكايات فى المحاكم ، ويسمع بإخلاص ما يقال من حكايات وروايات فى الطرقات وحافلات القطر وفى السيارات والمركبات ، بل فى كل مكان عما تقاسيه المرأة الشرقية من أية عائلة كانت ، ومن أية طبقة من طبقات الناس ، لايسعه إلا أن يقر لها بذلك ويعترف لها بأنها معذبة مظلومة .

وقد كنت أنا ممن تتبع هذه القضية وطالعها بعين مجردة من الأهواء ، فوصلت ـ نتيجة أبحاثى وتحقيقاتى ـ إلى أن تعاسة المرأة الشرقية إنما ترجع إليها هى نفسها ، وهى المسئولة عنها لا غيرها .

ولست أريد أن أبحث حال الفتاة الشرقية من حيث صحتها قبل الزواج ، لأن حياتها تلك لا تكون بيدها ، وليس لها فيها أى اختيار لخير أو شر ، بل أريد أن أبحث فى حياتها بعد الزواج ، لأنه القسط الأوفر من الحياة ، ولأن عليه تتوقف حياة الفتاة قبل الزواج ، أو بمعنى آخر ، إذا نحن أصلحنا حال الأم وبحثنا عن دواء لتلافى أمراضها الاجتماعية ، تم لنا إصلاح الفتاة بواسطة أمها ؛ فبحثى إذاً محصور فى الحياة الزوجية وشقاء المرأة الشرقية فيها .

سر تعاسة المرأة

والرأى عندى أن تعاستها إنما ترجع إلى عدم معرفتها «بعلم الحياة الزوجية» ، وإن لم يكن هذا بالعلم الجديد ؛ أقول ذلك وأنا على يقين من قولى ، إذ من المشهور والمسلم به أن الرجل رجل إلا أمام المرأة . وليس لنا أن نبحث عن المرأة ، ما هى وكيف هى ، لأن النساء ـ كما قال أحد الظرفاء ـ كلهن سواء عند إطفاء المصباح . وليس مرجع التعاسة إلى وجود أو انعدام الجمال ، لأنه من الأمور النسبية ، فما يراه رجل جميلاً ، يراه آخر قبيحاً ؛ وإنما نعالج هنا مسئلة المرأة والرجل معاً .

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن تعاسة النساء المتعلمات فى الحياة الزوجية لا تقل عن تعاسة الجاهلات، إن لم نقل إنها أشد وأكثر من تعاسة غير المتعلمات، بينما كان التعلم يقتضى أن يجرى الأمر على عكس ذلك، لأن الإنسان كلما ازداد فى العلم ازداد فى العقل، ومن كان هذا شأنه كان حرياً بأن تكون حالته أحسن من غيره. على أننا نرى الأمور تسير عكساً، فما هو الداعى إلى ذلك؟

أما السبب عندى فهو نقص فى «علم التربية الزوجية»؛ ولست أعنى بالتربية: العلوم والفنون، أو الحصول على الشهادات العالية، أو إطاعة الزوج وتقبيل يده فى الأعياد والمواسم، وانتظاره على الطعام، والوقوف له إذا جاء، وتحيته إذا خرج، مما يفعله بعض الناس؛ بل هناك شىء آخر هو أجدر بأن يلتفت إليه من كل هذه السفاسف؛ ولا أرانى أشذ عن الموضوع إذا ذكرت النكتة الآتية للتفكه بذلك أن أحدهم ذكر مرة أمام صديق له أن ابنته نجحت بتفوق فى امتحان البكالوريا، وأنها تتقن بوجه خاص علم (الجيولوجيا) و(البكتريولوجيا) و(الفسيولوجيا) و(السايكولوجيا) الخ، وسيتم اقترانها عما قريب بفلان، فقال له صديقه: وهل أتقنت ابنتك (الطبخ لوجيا) و(العجن لوجيا) و(الغسيل لوجيا) و(ترتيب المنزل لوجيا)؟!

وطبعاً لست أعنى أن تحصيل العلوم ونيل الشهادات شىء غير جدير بالفتاة؛ بل إنى لأراه لازماً لها لزوم الخبز والماء؛ ولكنى أريد ألا تحرم الفتاة من أمور لا تقل فائدتها لها فى الحياة عن فائدة هذه العلوم، إن لم أقل إنها تزيد عليها، وهى علم الحياة الزوجية، أعنى بذلك الأمور التى تؤهل الفتاة لأن تكون زوجة حقيقية سعيدة فى حياتها الزوجية.

ترانا نعلم فتياتنا كل شىء، ونرسلها إلى المدارس، فتدرس وتطالع كل كتاب يليق أو لا يليق بالمطالعة، ونأخذها إلى السينما وتريها شئون العشق والخلاعة والتهتك، ونبعثها إلى الأسواق والحوانيت والمتنزهات: فتسمع وترى كل شنيعة ورذيلة؛ ولكننا إلى جانب ذلك نرى من العبث والعار أن نذكر لها فى يوم من الأيام أنها ستتزوج وتكون أماً؛ وبدل أن نعدها لذلك اليوم ونفهمها معنى الحياة الزوجية، نعد ذكر الزواج أمامها فى أحاديثنا عاراً، وفى حديثها أمامنا او أمام غيرنا منتهى الوقاحة وغاية الفجور، حتى لكأنها لم تخلق لهذه الغاية أو كأن الزواج جرم عظيم ومعصية كبرى ارتكبتها أمها من قبل بزواجها من أبيها، ولا يليق بها أن ترتكبها هى أيضاً، بينما العقل والدين والمصلحة تقضى علينا بأن نفهمها كل شىء عن الحياة الزوجية، ونجعلها تستفيد من تجارب أمها — على الأقل — لتعد نفسها — بإضافة هذه التجارب إلى علومها وعقلها — للحياة الزوجية السعيدة؛ ولكن — ويا أسفاً — هكذا شاءت لنا تربيتنا وجمودنا؛ فكان من جراء ذلك أنه إذا تزوجت الفتاة ودخلت بيت زوجها

ورأت وجوهاً غير الوجوه التي تعرفها وأخلاقاً وتربية وعادات خلاف ماعهدت ، وقعت في حيرة ، وأخذت الأمور عليها ، فلا هي عالمة بالحياة الزوجية حتى تدبر أمورها وتعيش بهناء وتعطي كل ذي حق حقه من أهل الدار وتنزل نفسها المنزلة اللائقة بها ، ولا هي جاهلة فتخضع وتستكين وتقضي حياتها بين تلك الجدران حيث لايعلم بها إلا الله ؛ فلا يكون منها — والحالة هذه — إلا أن تشمر عن ساقيها وتخوض مع كل أهل الدار في بحر من الخاصمات والمنازعات ، فيسبب هذا الزواج شقاء ، لا للزوج وحده ، بل لكل أهله وأقاربه ؛ هذا إذا كانت الزوجة عودت ذلك في بيت أبيها ، وتعلمت هذه الدروس من أمها ؛ وإلا فلا يكون منها إلا أن تستصرخ أهلها ، وهناك تكون الطامة الكبرى والويل والثبور .

أصناف الأزواج

ثم إننا نرى — إلى جانب ذلك — أن كثيراً من شبابنا ما تكاد تمضي عليهم أيام العرس حتى يهجروا زوجاتهم هجراً مليا ، ويتخذوا لهم من المومسات خليلة يترددون عليها ، بل يقضون عندها كل أوقاتهم ويضيعون زهرة حياتهم في تلك الحياة الشائنة الوخيمة ؛ كما أنهم ينفقون كل ماتصل إليه أيديهم ، وهم لايبتغون من الحياة إلا رضاها الذي هو عندهم منتهى السعادة وعين النعيم ؛ على أنها قد لاتكون أجل من زوجتهم ولا أعلم ولا أكمل . ومن الناس من قد صانهم شرفهم وحماهم من الوقوع في مثل هذه المهلكة ، فتراهم يهجرون زوجاتهم ويتخذون المقاهي لهم داراً ، فلا يأتون إلى منازلهم إلا غراراً ؛ وإذا دخلوها فإنما يدخلونها مجبرين ، إما لطعام أو لراحة أو لنوم أو لتبديل ثياب بغيرها ، ثم لايلبثون أن يخرجوا منها سراعاً وكأنما هم نازلون في فندق أو كأن في الدار وباء ! وكثيراً ما يستغنون عن الدار أياماً طويلة يقضونها عند الأصدقاء والأحباب . والبعض ممن لايدينون بأحد المذهبين السابقين ، وحالتهم المالية لاتساعدهم على الجلوس في المقاهي أو المتنزهات ، تراهم يأتون إلى الدار ويجلسون كالجلادين ، إن كلمته أخته لطمها ، أو أمه أنبها ، أو زوجته سبها ، وإن ضحك أحد صب العذاب على الدار وأهلها ، وبكى لأقل تقوم القائمة الكبرى ، ويضج صاخباً ويثور لأقل حادث وينسى وقاره ويتجاوز حدوده ، وهو معذور في ذلك ، لأنه يكون في حالة عصبية غير سليمة ؛ ومن الناس من يولع بشرب الخمر ليروح عن نفسه ؛ ومنهم من يقضي حياته على الموائد الخضراء أو غيرها من الأمراض الاجتماعية التي يعرفها كل واحد منا ، إما في نفسه أو في صديقه أو في أحد أقربائه أو جيرته ؛ كل هذه الأمراض من المرأة وحدها ؛ فإنك إذا سألت واحداً من هؤلاء الأزواج : لماذا صرف زهرة شبابه في جمع المال من أجل أن يتزوج وها هو ذا قد تزوج وبيت الزوجة يطلبه ولايجب له أن يعيش في الطرقات ؟ أو إذا ذكرته بتلك الأيام التي كان يتهيأ فيها للعرس ، تراه يتأوه في حسرة وترجع ، لاعناً ساخطاً ذلك اليوم الذي

كانت له فيه تلك الصلة بزوجه المشئومة ويقول : لقد ضاعت آمالى وتلاشت مع المواصف ، فأنا اليوم غيرى بالأمس ، عرفت بالتجربة مالم أعرفه من الأقوال ، ونصيحتى إلى كل من لم يتزوج ألا يحدث نفسه بالزواج ، فحديث الزواج كالأفعى ، ناعم الملمس قاتل السم .

ثم يزيد على ذلك أنه لايحب زوجته ولا يميل إليها ، وقد رأيت أن أكثر متبعى الثقافة الأوربية ومقلدى الطراز الحديث يعزون ذلك إلى أن الشرقيين — وخاصة المسلمين — لايتزوجون كما يتزوج الأوربيون عن محبة وتعارف . أما أنا فمع أنى من المتنورين ، فلست أرى فائدة لهذا النوع من الزواج فى توطيد العلاقات الزوجية ، وأرجح أن الزواج الذى يكون بمعرفة الوالدين أو من يقوم مقامهما هو غالباً أنجح من زواج يتم بواسطة الشخص نفسه ، وذلك لأسباب :

منها أن الشاب فى ريعان شبابه وهياجه لايفقه للجمال معنى ، فالشاب لايرى امرأة إلا ويخالجه نحوها من الميل مايخالجه لرؤية غيرها ، سواء بسواء ، وهذا دليل على أن ميله للأولى أو للثانية ليس ناشئاً عن ميل خاص وإنما هو نتيجة ماأودع الله فطرة الذكر من الميل إلى الأنثى والعكس بالعكس .

ومنها أن الجمال ليس جمال الوجه والجسم فقط ، بل هو ما تقدم مضافاً إليه ميزات باطنية كثيرة لا يعيزها إلا العارفون ، أما أنا فإنى لا أرى جمال المرأة إلا فى الصحة والحياء ، وأما كونها بيضاء اللون أو واسعة العينين أو صغيرة الفم أو نحيلة الخصر ، فهذا مالا أعده الجمال ، لأنه شىء عارض وزائل . وفى زوال الجمال معنى غير جميل وأرجو ألا يفهم من قولى هذا أن لا بأس من كون المرأة شوهاء أو قطعاء أو عرجاء ، فأية عاهة وأى عيب لايمكن أن يدل على الصحة الحسنة ، ولكم رأيت من النساء من ليس فيهن من معانى الحسن والجمال المتعارف عليه ذرة واحدة مما فى ذوات الخال والخلخال والقوام والهندام ، ومع هذا فإنك لتتمنى دائماً الجلوس إليهن واجتناء ثمر آدابهن .

فلماذا يضحى الإنسان إذاً بشرفه وجاهه وماله وينقاد إلى بيوت العهر ، وهو صاحب زوجة ، وزوجته جميلة شريفة مهذبة ربما لا يوجد من يضاهيها فى جمالها الطبيعى ، ناهيك عما اتصفت به من آداب وعصمة ، وحسبك ذلك من جمال ؟

ولكن ماذا تفعل هذه المسكينة لحظها القاتم الذى جعلها لاترى زوجها إلا غباً ، ولا تتمتع برفقته ساعة واحدة يقضيانها فى سرور ، مما جعلها لا تعرف هل هى زوجة أو خادم أو مربية أو مرضع ، عيشها كله شقاء وعذاب وهى هدف كل لوم وعتاب ، ذلك لأن المؤسسات قد درسن علم الحياة الزوجية فاستملن الرجال إليهن على ماهن عليه من قحة وتبذل وسفاهة وقذارة وغير ذلك ، ولم تدرسه الزوجة فتباعد عنها الرجل وتفر منها مع ماهى عليه من عصمة وآداب وأخلاق وطهارة .

علم الحياة الزوجية

فما هو ذلك العلم الذى خرب دور الزوجات الشريفات لجهلهن إياه، وعمر دور الماهرات لمعرفتهن به ؟

هو أمور كثيرة ألخصها لك فى كلمات هى : معرفة كيفية استمالة الزوج لا غير ، وهو علم مختصر كما ترى من ألفاظه، إلا أنه فى الحقيقة وفى الوقت نفسه ، علم واسع لا يمكن معرفته إلا بدراسة علم النفس بفروعه كلها ؛ فإذا سألتنى كيف يتسنى إذاً لكل الزوجات أن يستملن أزواجهن طالما هذا يحتاج إلى دراسة علم دراسته وعرة الطرق ، قلت إن على الزوجة فى كلمة مختصرة أن تجعل نفسها عشيقة لزوجها لا زوجة له فقط، وأن تعامله معاملة العشيق لعاشقة. ومن أولى منها بذلك ! فتتدلل وتخضع، وترضى وتغضب ، وتستعطف وتنكر، وتطلب وتمنع، وتحب وتنفر ، وتلين وتتصلب ، وتخالف وتوافق ، وتبكى وتضحك ، وتنوح وتشدو ، وهلم جرا . .

هـذا هو علم الحياة الزوجية الذى أعنيه والذى أرى أن عليه المعول فى سعادة الحياة الزوجية . وإنى لعلى يقين من أنه إذا سارت الزوجة فى حياتها الزوجية على نحو ما قدمنا فإنها تستطيع أن تقود زوجها بلحظة من لحاظها ، وتجعله طوع أمرها وإشارتها بلفتة من لفتاتها .

وكيف لا يكون الرجل خادماً لزوجه وكيف لا يضحى حياته من أجلها مهما كان شريفاً أو وضيعاً، سفيهاً أو حليماً، تحت أقدام هذه العاشقة المعشوقة التى بذل للحصول عليها دمه وماله، والتى يعلم أنها له وحده دون سواه ، وهو لها وحدها دون سواها ، بينما تراه يتفانى ويتهالك فى حب مومس ، يكون لها من العشاق عدد كبير ؟ هذا ما لا يتصوره عاقل قط .

وإنى — فى كل تعاسة زوجية ومخاصمة بيتية — لا ألوم إلا المرأة وحدها، لأنها هى السبب فى حدوثها ؛ ولا ألوم الرجل ، لأنه صعب على الرجل أن يقود امرأة ويجذبها إليه، إذا كانت هى لا تميل إليه من ذاتها ، بل العكس فذلك سهل على المرأة . فالحياة المنزلية إذاً فى يد المرأة ؛ إن شاءت جعلت من الزواج نعيما ، وإن شاءت صيرته موتاً أحمر .

وكثيرة هى نماذج الحياة الزوجية التى ترى فيها التعاسة مقيمة ، إذا فقدت الزوجة « علم الحياة الزوجية » ، وبالعكس فإن كل شقاء وعذاب وألم يصادفه الإنسان فى هذه الحياة من رجل أو امرأة ، يتضاءل مفعوله إذا سكن كل زوج إلى زوجه ، وهذا هو مفهوم الآية الكريمة « لتسكنوا إليها » ، فعلى هذا العلم وحده تتوقف سعادة الحياة الزوجية ، لا على المال ولا على الجمال ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم « إنما تنكح المرأة لثلاث إما لمالها أو لجمالها أو لدينها ، فعليك بذات الدين تربت يداك » ، والدين هو مجموعة الأخلاق كما تعرف .

وإنى أقص عليك الآن قصتين تعلم منهما ما لهذا العلم من الأثر فى الحياة الزوجية . ذلك أن صديقاً لى تشاجر مع زوجته وحمى بينهما وطيس الخصام حتى لم يبق أمل فى الصلح ، فسعيت للتوفيق من قبل الرجل فلم أفلح ، فلما أتيت إليه من قبل الزوجة ، وكنت قد أدليت إليها بشىء مما قد مضى من الأمور التى رجوتها أن تعمل بها ، لم يمض إلا يوم واحد حتى عادت المياه إلى مجاريها وكأن شيئاً من الخصام لم يكن ! فهل تعلم ماذا قلت لهذه الزوجة ؟ قلت لها : كونى له معشوقة فقط .

كذلك كان لى صديق تركته مدة طويلة ، فلما رجعت إليه وجدته قد تزوج ؛ وعرفنى بزوجته ، فلما رأيتها عجبت كيف يتزوج مثله مثلها ، وهو شاب ذو مركز عال وعمل كبير ، وهى تزيد عليه فى العمر وليس فيها من الجمال الظاهرى شىء ، ولاح لى أن حياتهما سعيدة ، فأردت أن أعرف الحقيقة ، فسألت صديقى عن حاله فأجابنى : « إن زوجتى ليست بجميلة ، ولكننى سعيد بزواجى منها ، لأن الحب بيننا متبادل » ، فعلمت أن جمالها باطنى لا ظاهرى .

وقد يقول البعض : إن الرجل لا يبتغى من الزوجة إلا الطاعة ، وفلانة مع أنها تطيع زوجها ولا تحرك ساكناً إلا بإذنه ، من أتعس الناس حظاً ، وبالعكس فإن فلانة هى الرجل وزوجها هو المرأة ، ومع ذلك فهى سعيدة فى حياتها الزوجية ، ولكن هذا القول لا يروقنى ، لأن المرأة ليست بخادم تؤمر فتطيع وتنهى فتنتهى ، بل هى ربة البيت ومالكته ؛ بل مالكة صاحبه أيضاً ، والطاعة العمياء ليست من شأن السادة ، إنما تكون لهم طاعة اختيارية مصدرها الحب وحسن المعاشرة . زد على ذلك أن الطاعة ليست كل ما يتطلبه الزوج فى زوجه ؛ وأولئك الذين يستندون إلى الأحاديث النبوية والأقوال التى ترتبت عليها من أن الزوجة ليس لها إلا طاعة زوجها ليسوا على حق ، لأنهم فهموا الطاعة كما يفهمها الجهلاء . أما العارفون فيفسرونها على نحو ما فسر الحديث « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ، فقد فسره العارفون بمساعدة الأخ ، ظالماً بمنعه من الظلم ، مظلوماً برد عنه . فهكذا تفسر الطاعة هنا ؛ فقد تكون الطاعة أحياناً بإصلاح الزوج .

ومن الحكايات اللطيفة فى هذا الصدد أن عروساً لم يمض على زواجها إلا بضعة أيام حتى هجرها زوجها وانقلبت محبته لها بغضاً ونفوراً ، وصار يقضى لياليه خارج الدار ، ويأتى آخر الليل ، فتقوم هذه المسكينة له بكل خدمة وتحادثه وتؤانسه ، وهو شامخ بأنفه لا يرد لها سؤالاً ولا يعبأ بكلامها ، وهى آتية كل غماً وهماً من هذه الكارثة التى وقعت فيها ، إلا أنها كانت صابرة لا تظهر عليها أمارات شىء ، حتى طفح الكيل أخيراً ، وبلغ منها السيل الزبى ، فقصت القصة على والدتها وكانت عاقلة مدبرة وخبيرة علامة بعلم (الحياة الزوجية) ، فأمرتها ألا تلتفت إليه ولا تعبأ به فى المستقبل لبضعة أيام ، وألقت عليها بعض الدروس وأوصتها بأن تعمل بها ! فلما كان منتصف الليل وعاد زوجها وفق عادته ودخل الدار ، وجد زوجته نائمة ، فخلع ثيابه ونام هو

الآخر، ولكن فى دهشة من نوم زوجته على غير عادتها، وهكذا تناومت صباحاً حتى لبس ثيابه وخرج وهو لا يفكر إلا فيما حدث لزوجته من الانقلاب الفجائى ؛ فما كاد ينتهى عمله حتى عاد إلى الدار دون أن يذهب إلى مقهى أو ملهى ؛ فلما دخل الدار استقبلته زوجته بكل جفاء وكلمها فلم ترد عليه ، فاضطربت أفكاره وحار فى أمره ، فجعل يسليها ويداعبها ، وهى تزداد فى جفائها ، وزاد فى المداعبة فلطمته، وانحنى على قدميها يقبلهما وهو يقول: رحم الله أباك! لو أنك عاملتنى مثل هذه المعاملة منذ اليوم الأول لزواجنا، لما كان بى من حاجة للتردد على الملاهى.

الرجل كزوج

ومما تقدم يظهر أن الرجل - كزوج - لا يحتاج دائماً إلى لين وطاعة، بل يحتاج بعض الأحيان إلى شدة وغضب ؛ ولست أعنى بهذا أن تقوم حرب داحس والغبراء بين الزوجين ليتم الصلح ويسود الوفاق ، وإنما كل ما أعنى هو أن تكون الزوجة عالمة خبيرة بما يجب أن تعامل به زوجها من الدلال .

وإنه ليعترينى العجب من أولئك النساء اللاتى لا يستطعن أن يستولين على أزواجهن بكلهم وجزئهم ، ولا أعدهن زوجات صالحات ، وإلا فكيف نتصور أن يكون لرجل زوجة يحبها وتحبه ، ثم نراه فى أوقات فراغه لا يميل إليها ، وإنما نراه حائراً تتقاذفه المقاهى والملاهى ؟ لماذا لا تسعى هذه الزوجة فتهيىء لزوجها من الأمور ما تجعله يسكن إليها ولا ينظر إلى غيرها . أليس هذا عجزاً منها ؟ لنفرض أن زوجها يميل إلى لعب الورق ، فلتتعلمه هى أيضاً وتلعب معه ، أو لنفرض أنه يميل إلى الغناء ، فلتغن له ويغن لها ، وهكذا .

النصيحة

والخلاصة أن على الزوجة ، إذا كانت تريد أن تكون زوجة بكل معنى الكلمة : أن تجعل الرجل خاتماً فى يدها تحركه كيفما شاءت ؛ وليس هذا على القوة السحرية فى المرأة بعزيز.

ثم ماذا يجب عليها أيضاً لتكون سعيدة فى حياتها الزوجية؟ لا شك أن هناك أموراً كثيرة؛ فعلى الزوجة أن تقنع زوجها بأنها له وحده ، فلا تمازح أو تلاعب أو تداعب أحداً من أقربائها أو أقربائه أو أصدقائها أو أصدقائه ، إن كانت هذه المداعبات تثير فى زوجها الغيرة.

وعليها أن تندمج فى زوجها ، وتمد نفسها نفسه ونفسه نفسها، فى مآلها وبدئها ، وطعامها وشرابها، وأن تكون نظيفة الجسم والملبس، وأن تتزين له ما استطاعت، ولا تدع أمراً يسره من الأمور إلا فعلته ، وألا تظن كما تظن الجاهلات أن اللباس هو لأيام العرس فقط ، بل يجب عليها أن تتزين كل يوم بزى تتراءى لزوجها فيه كأنها فى يوم الزفاف، وأن تستقبله ببشاشة وتودعه بابتسامه ، وأن تستخلص لها منه وقتاً للخلوة يومياً، تذاكره فيه بكل حادثات يومه فتهون عليه

السير وتفرج كربته وتشاركه أفراحه وأتراحه ، وألا تقص عليه من الحوادث البيتية مايكدر مزاجه ، وألا تصغره فى عين نفسه من حيث عمله وعلمه ، وأن تكون مقتصدة مدبرة ، ولست أعنى أن تقتصد هى ويبذر هو ، بل أن تقتصد هى وتعلم زوجها الاقتصاد وتحاسبه على المليم ، وأن تعتنى بنظافته وثيابه وكل أمور الرفاهية من تزيين شعر وحمام ، وأن تضطر إلى ذلك إذا أبى أو كان لا يعبأ بنفسه ، ولكن بطريقة زوجية لطيفة ، وألا تدع له من شك فى أن حياتها منوطة برفاهته وسعادته ، وأن تكسب قلبه لدرجة لايستطيع معها أن يمكث بعيداً عنها إلا للضرورة ، وأن تحاسبه على غيابه عنها وتعاتبه عليه بدلال ، وأن تخلص له ولا تكذب عليه فى شىء ، وألا تخفى عليه حالة من حالاتها أو أمراً من أمورها أو حادثاً وقع لها ، وألا تدع لحظة تفوت إلا وتكسب بها قلبه وتتغلب على لبه .

هذا مايجب أن تفعله المرأة لتكون سعيدة فى حياتها الزوجية ويكون الزوج سعيداً بها . فإذا قال قائل : لماذا ذكرت واجبات المرأة وتركت واجبات الرجل ؟ أجبت بما تقدم من أن المرأة أصل السعادة الزوجية ، وهى القادرة على تكييفها بأية كيفية شاءت ، وأما الرجل فمسكين ، ومسكين جداً ، لاسيما إذا حصل على زوجة من هذا النوع الذى ذكرته ، فحينئذ لايكون الرجل زوجاً صادقاً وخادماً مخلصاً ، بل عبداً مطيعاً أميناً لايحتاج إلى قيد أو شرط ، ينتظر الأمر لينفذه والحكم ليطيعه . وأى شأن للرجل أمام المرأة إذا كانت عالمة (بعلم الحياة الزوجية)؟!

وأكرر قولى بأن الرجل رجل ، إلا أمام المرأة . وليست الحياة بعد الزواج ألماً وكدراً ، كما يتصور شباننا ، بل منتهى السعادة وغاية الراحة ؛ لا بل هى الجنة بعينها بما يتصور فيها من نعيم وسعادة ، وبألفاظ أخرى : إذا كانت الحياة الزوجية مبنية على تبادل الحب فهى كذلك ، وإلا فهى الجحيم بعينه ولا شك ، ولا يحق لنا أن نسميها حياة زوجية لأنها لاتكون إلا تمرينات حربية .

إحسان سامى حقى

عليكرة [الهند]